آداب الرافدين – العدد (64)　　　　　　　　　　　1434هـ/2012م

سورة الإِخلاص دراسة لغويَّة – صوتية

أ.م.د.رافع عبد الله مالو*　　　　　و م.د.عزّة عدنان أحمد عزّت **

تأريخ التقديم: 2009/9/27　　　　　تأريخ القبول:2009/10/28

كشف البحث في سورة الإخلاص عن معناها في التوحيد من خلال التفخيم والترقيق في صوت اللام الناتج من التركيب النحوي المتسق والمعنى الدلالي فضلاً عن توحيد الفاصلة ونوع صائت المد في السورة، ثم بدا تفرّد السورة في ورود خمس كلمات فيها لم ترد في غيرها من سور القرآن بهذه الصيغ والمعاني، فعبّر من خلال عددها 5: 15 – الذي ساوى ثلث عدد كلمات السورة– عن كون السورة معادلة لثلث القرآن باعتبار أن القرآن قسمان: خبر وإنشاء، والخبر قسمان: خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق، وسورة الإخلاص أخلصت الخبر عن الخالق.

فسورة الإخلاص "سورة خالصة ليسَ فيها ذكر شيء من أمر الدنيا والآخرة"(1)، أغراضها إثبات وحدانية الله تعالى، فهو الصمد الذي لا يقصد في الحوائج غيره، وتنزيهه سبحانه عن سمات المحدثات كالولد والوالد والولادة – إبطالاً لاعتقاد بعضهم أنَّ الإله يمكن أن يولد كعيسى عليه السلام– والبراءة من الشركة والشريك.

نزلت السورة في قول المشركين للرسول (صلى الله عليه وسلم): انسب لنا ربك(2) ،لذا، ولأن الاستهلال يؤثر في الانطباع الأولي للنفس فيكون أكثر تأثيراً وفعالية من غيره لأنَّه يسحب آثاره على ما يليه(3)، فقد ابتدأت السورة بفعل الأمر

---

* قسم اللغة العربية/كلية الآداب / جامعة الموصل .

** قسم اللغة العربية / هيأة العلوم الإنسانية / جامعة زاخو.

(1) جامع البيان 423/30.

(2) بصائر ذوي التمييز 553/1 والتحرير والتنوير 612/30.

(3) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية/91.

(قل) لتكون جواباً عن سؤالهم، واتبع فعل الأمر هذا بالضمير (هو)(1) فأفاد فائدة صوتية عززت الفائدة اللغوية –في إرادة التعظيم والتفخيم(2)– تتمثل في أن (واو) الضمير (هو) مفتوحة، فاستوجب أن تكون لام لفظ الجلالة مفخمة بعدها ، أما لام (قل) فساكنة، ولو حذف الضمير لكسرت اللام لالتقاء الساكنين، ولو كسرت اللام لرققت (لام) لفظ الجلالة فيقال (قلِ الله) بالترقيق وهذا حتماً لا يتناسب وأغراض السورة وسبب نزولها، الوحدانية ونفي التعدد في الآية الأولى، وإثبات الكمال ونفي النقض والعجز في الآية الثانية وإثبات أزليته سبحانه وبقائه ونفي الذرية في الآية الثالثة وإثبات العظمة والجلال ونفي الأنداد والأضداد في الآية الرابعة(3).

إن إنعام النظر في فاصلة السورة، أو نوع أصواتها وعددها، أو مقاطعها الصوتية، فضلاً عن تركيبها، يعزز لنا فحواها، فتوحيد الفاصلة يتناسب وتوحيد الله سبحانه وتعالى، واحتواء السورة على أحد عشر صوتاً مهموساً فقط، واستحواذ الأصوات المجهورة على أكثر من ضعف عدد المهموسة، يتناسب ومسألة الجهر بالتوحيد التي "تقتضي المجاهرة وعلو النبرة"(4) يعزز ذلك انها ابتدأت بـ (قل) أي قُلْ ذلك و اجهر به.

أمَّا تكرار صوت الدال خمس مرات في السورة، فضلاً عن انتهاء الفواصل به، فقد أعطى جرسَ موسيقى داخلية "تحكمها قيم صوتية أرحب من الوزن والنظم المجردين"(5) لأن صوت الدال يجسّد العزم والقوة والحزم(6)، فهو صوت انفجاري

---

(1) ينظر : تفسير النسفي 1383 و روح المعاني 699/30 ومعارج التفكر 78/2.

(2) ينظر: من بلاغة القرآن/151.

(3) صفوة التفاسير 622/3.

(4) ينظر: الإعجاز الصوتي في قصار السور/10.

(5) الرمز والرمزية/ 362.

(6) الانفعالية الإبلاغية/331.

شديد، ناسب المعاني المتوخاة منه في الرد العنيف على دعوات الشرك، وتكرار كلمة أحد فيها يجسد فكرة التوحيد منذ المبدأ حتى المنتهى بدأت بـ أحد وانتهت بكلمة أحد(1).

وإذا ما علمنا أن السورة خالصة في التوحيد، وأن صوت اللام المتكرر اثنتي عشرة مرة، من الأصوات الجانبية المنحرفة، أدركنا أهمية التأكيد على الانحراف في عقائد الناس في ذلك الزمان، فكأن التكرار في هذا الصوت يتناسب مع مسألة الاهتمام بصحة العقيدة وعودتها من حالة الانحراف إلى طريق الحق والصواب(2)، فضلاً عن رؤية البعض أن صوت اللام يمثل نوعاً من الهدوء يناسب المشهد الموحي بالعبادة(3)، كونه من الحروف الرخوة(4).

وتبدو لنا أكثر من صورة أساسية من صور الإعجاز الصوتي، كالتلاؤم الصوتي الذي أوضحه تغلب عدد الأصوات المجهورة على المهموسة، أو كالمحاكاة الصوتية للمعنى التي ظهرت في تكرار اللام وتفخيمه في مواضع، وترقيقه في أخرى حسب ما اقتضى المقام، أو في الايقاع القرآني الذي عبر عنه ارتفاع نسبة عدد المقاطع الصوتية المغلقة (ص ح ص) التي تمثل الشدة والقوة إذ جاوزت الـ (51%)، وهي أعلى نسبة لم تصل إليها أي سورة في جزء عمَّ باستثناء سورة الكوثر، فضلاً عن ذلك نجد الإعجاز الصوتي في الفواصل أيضاً إذ تمثل بتوحيد الفاصلة في السورة، فناسب موضوعها (التوحيد).

---

(1) الإعجاز الصوتي في قصار السور/10.

(2) سورة الإخلاص دراسة صوتية، كريم ذنون /4.

(3) الإيقاع أنماطه ودلالاته/120.

(4) الرعاية/107.

أما مفردات السورة (أحد(1)، صمد، كفواً، يلد، يولد) فلم ترد بهذه الصيغ والمعاني إلا مرة واحدة في القرآن الكريم، وكأن في هذا ما يشير إلى أن التوالد إمارة الفناء، لأنه يكون من اجل البقاء(2) ويعزز من دلالة الوحدانية والخلود لله في السورة، ويتفق وأسباب نزولها(3)، بل ويتطابق وبعض أسماء السورة كالتفريد والتوحيد(4)، واللطيف أن هذا العدد من الألفاظ يمثل ثلث عدد مفردات السورة، فكأنه بهذا يُحاكي كون السورة "معادلة لثلث القرآن"(5) باعتبار أن القرآن قسمان: خبر وإنشاء، والخبر قسمان: خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق، فهذه ثلاثة أثلاث، وسورة الإخلاص أخلصت الخبر عن الخالق فهي بهذا الاعتبار ثلث(6).

لقد أعطت كثرة الحركات القصيرة، المتمثلة بالمقطع الصوتي (ص ح)، إيقاعاً قوياً يهز هزاً عنيفاً، لذا لفت البطء في زمن نطق ثلاثة ألفاظ الانتباه.

فمن خلال النظر في جدول المقاطع الصوتية للسورة، نلحظ وجود ثلاثة مقاطع طويلة مفتوحة (ص ح ح) فقط، اثنان منها بصوت الألف المفخمة في لفظ الجلالة (الله) والأخيرة بصوت الواو المرققة الطويلة التي تمثل التكور الطويل أو الضم والتصغير في لفظ (يولد)، فكأنها تقلل من شأن عملية الولادة والتكاثر، فلام لفظ الجلالة مفخمة، ولام يولد مرققة أما لام يَلِدْ فمكسورة، وكأنها تعبّر تعبيراً صارخاً "عما خفي وظهر من أحزان تلك النفوس الكسيرة"(7).

---

(1) ينظر: الوجوه والنظائر/280.

(2) الأساس في التفسير/6749/11.

(3) أسباب النزول/309.

(4) ينظر: التفسير الكبير 175/32 والمختار من تفسير القرآن/ الشعراوي 147/3.

(5) التفسير الكبير 177/32.

(6) روح المعاني 695/30.

(7) الانفعالية الابلاغية/44.

جدير بالذكر أن أصل (يلد) (يَوْلِد)، فلمّا حلت الواو بين ياء وكسرة خزلت، كما أن أصل لم يكن لم يكون، ولما استثقلت الضمة على الواو نقلت للكاف وسقطت عن الواو لسكونها وسكون النون⁽¹⁾.

جدول المقاطع الصوتية للسورة

الآية	المقطع ص ح	المقطع ص ح ح		المقطع ص ح ص		المجموع
		العدد	الصوت	العدد	الصوت	
1	3	1	آ	3	ل ل د	7
2	1	1	آ	3	ل ص د	5
3	2	1	و	4	م د م د	7
4	5	0		5	م ل ن ن د	10
4	11	3		15		29
	%38	%10		%52		

وإن كان الصمد هو السيد الذي يصمد إليه في الأمر⁽²⁾، وفيه نلحظ معنى الالتجاء، فان في تعريفه بالألف واللام واقترابه من لفظ الجلالة ما يعزز من هذا المعنى صوتياً، لأن الصمد لفظ يبدأ بحرف الصاد الشمسي، فتدغم لام التعريف في الحرف الأول⁽³⁾ منه وهو الصاد، فضلاً عما في التعريف هنا من أثر نفسي قوي، فكم هو الفرق بيّن مثلاً بين أبوك عبد وأبوك العبد⁽⁴⁾ وقد يوضح المخطط الآتي ذلك:

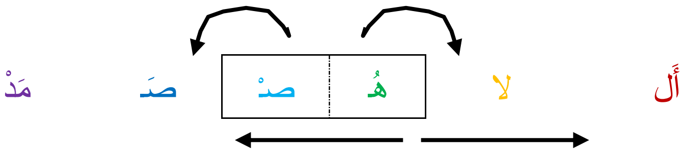

---

(1) كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم/ 247.

(2) المفردات/294 و الفروق/175.

(3) التصريف العربي/ 65.

(4) ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية/118–120.

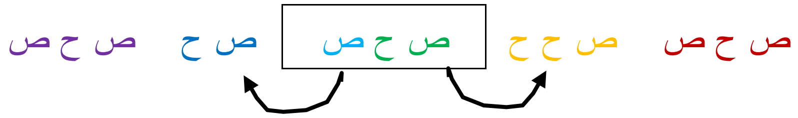

وتجدر الاشارة إلى أن الصمد هو المصَمود، فَفَعَل هنا بمعنى مفعول، وقد عدل عنها لا تناسقاً للفواصل فحسب، بل لما يوحيه "وزنها الصرفي من صيغ الصفة المشبهة (فَعَل) مثل حسن و بطل فيسبق إلى الذهن معنى الثبوت فيها والدوام، وهو أمر متحقق فيه جَلَّ وعلا"(1) ولن تعطي (الله المصمود) ما أعطته **(الله الصمد)** من معنى دلالي وايقاع صوتي، بل انها لمختلفة في اتصال مقاطعها الصوتية فضلاً عن اختلاف نوعها، والمخطط الآتي يوضح ذلك:

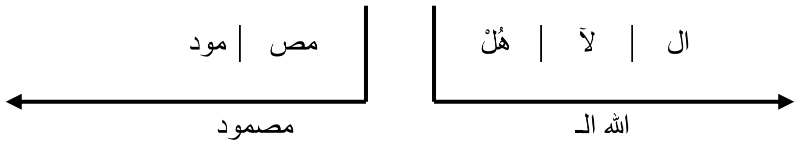

لقد أدخل اللام في (الصمد)، ولم يدخل في (أحد)، "لأنه ليسَ في الموجودات ما يسمى أحداً في الإثبات مفرداً غير مضاف، ولم يوصف به شيء من الأعيان إلا الله وحده، وإنما يستعمل في غير الله في النفي وفي الإضافة وفي العدد المطلق، أما اسم الصمد فقد استعمله أهل اللغة في حق المخلوقين"(2).

وجدير بالذكر هنا أنه سبحانه لم يوصف إلا في هذه الآية فقط بأنه (أحد) وحين وصف بأنه واحد لم يقترن بلفظ الجلالة (الله) بل بلفظ الإله (إله واحد) أو مقترناً بلفظ القهار (الواحد القهار)(3)، والمتأمل في أصوات لفظة (أحد) يلحظ أنها "تنبع من أقصى الحلق: الهمزة، والحاء، ثم تنتهي الى صوت الدال الخارج من الحلق بين اللسان وأصول الثنايا، ما دلالة هذا السلوك الصوتي الممتد من الداخل

---

(1) لغة القرآن الكريم/ 434.

(2) تفسير القاسمي/ 507/9.

(3) ينظر: التفسير البياني 46/1.

العميق الى الخارج المرئي ؟ الله تعالى أعلم أن الايحاء هنا ان التوحيد ينبع من القلب ويظهر على اللسان والجوارح وهذا ربط في غاية اللطف والعمق"(1).

إن (أحدَ) التي لا ينعت بها غير الله تعالى لخلوص هذا الاسم الشريف له جل ثناؤه(2)، وردت مرتين في السورة، فأحدثت "إيقاعاً متوازناً ومتقابلاً جامعاً بدلالته بين السلب وبين الإيجاب"(3)، لأن الواحد يستعمل في الإثبات، والأحد في النفي(4)، وورودها نكرة مكونة من مقطعين غير متصلين بما قبلها ولا بعدها، وضع لخصوصيتها حدوداً، فهي تختلف عن (واحد)(5)، لأن (واحداً) يلحق مؤنثه الهاء، فيكون واحدة، ويجمع على (وحدان)، أما (أحد) فلا تلحقه علامة التأنيث، ولا يجمع(6)، وإنما وصف سبحانه بـ (أحد) ولم يوصف بـ (واحد)، لأن الصفة المشبهة نهاية ما يمكن به تقريب معنى وحدانية الله تعالى إلى عقول أهل اللسان العربي المبين(7)، فضلاً عن أنها "لم تأت وصفاً لاسم الله تعالى إلا في هذه الآية، أما آيات القرآن الأخرى كلها، فقد وردت بالمعنى اللغوي وهو واحد من الخلق(8)، واللطيف أن واحداً حين استعملت فيما يخص الله سبحانه وتعالى اقترنت إما بلفظة (إله) (إله واحد) أو (قهّار) (الواحد القهار)(9).

---

(1) الاعجاز الصوتي في قصار السور/11.

(2) تفسير القاسمي/ 506/9.

(3) الجناس في القرآن/61.

(4) التفسير الكبير/ 179/32.

(5) التفسير الكبير/ 178/32.

(6) ملاك التأويل/ 1157 و 1158.

(7) التحرير والتنوير 614/30.

(8) ملاك التأويل/1157 و 1158.

(9) ينظر: التفسير البياني/46/1 و المعجم المفهرس/835.

وإن بدا لنا الاتصال في المقاطع الصوتية متناغماً ومعنى الآية الثانية [**الله الصمد**] فانّ الانفصال في المقاطع الصوتية يبدو هو الآخر متناغماً ومعنى الآية [**لم يلد ولم يولد**]، فكل المقاطع فيها مفصولة (لم/ يَـ/ لد/ وَ/ لم/ يو/ لد) تحاكي أن من "يصمد إليه لا يكون في حالة أن يلد، لأن طلب الولد لقصد الاستعانة به في إقامة شؤون الوالد وتدارك عجزه"(1)، فضلاً عن ذلك، فاننا نرى في مجيء النفي بـ (لم) المتكرر ثلاث مرات ذي المقطع الصوتي المغلق المنتهي بصامت (ص ح ص) دون (لا) المنتهي بصائت (ص ح ح)، إيقاعاً أقوى يفيد القطع والجزم، وكأن عملية الولادة مقطوعة مبتورة مجزومة لا جدال في هذا، ولاسيما أن "الولادة انبثاق وامتداد ووجود زائد بعد نقص أو عدم، وهو على الله محال، ثم هي تقتضي زوجيّة تقوم على التماثل وهذه كذلك محال"(2) والمخطط الآتي يوضح ذلك ويرينا كيف أثّر مجيء (لم) في موسيقى الآية المقصود، ولو انها كانت آيتين لما كان هناك فرق، لأننا سنقف على الساكن !

لمْ يلدْ ولمْ يولَدْ ← (ص ح + ص ح ص) = 2 + 4 = 6 من أصل 7 = 85.7%
ما يلدُ وما يولدْ ← (ص ح + ص ح ص) = 4 + 2 = 6 من أصل 8 = 75%
لا يلدُ ولا يولدْ ← (ص ح + ص ح ص) = 4 + 2 = 6 من أصل 8 = 75%

وتتسق الفواصل في مجيء (لم يلد) قبل (لم يولد)، فكل سكون للدال سبقه حركة بالفتح، فضلاً عن أهمية تقديم الولد، إذ نسب أهل الضلالة الولد لله تعالى ولم ينسبوا إلى الله والداً"(3)، والمخطط الآتي يوضح فواصل الآيات في حال تقديم نفي الوالد على نفي الولد.

---

(1) التحرير والتنوير 618/30.

(2) في ظلال القرآن/290/30.

(3) التحرير والتنوير/618/30.

…	أ	حَدْ	…	صَمْد	…	يو	لَدْ	…	أ	حَدْ
…	أ	حَدْ	…	صَمْد	…	يـ	لِدْ	…	أ	حَدْ

جدير بالذكر أن السورة ابتدأت بمقطع طويل مقفل بصامت (ص ح ص) ، وانتهت بمثله، وكأنها بهذا الشكل تشكل سوراً منيعاً حصرت فيه المعاني التي تضمنتها السورة وقصرتها على الباري سبحانه وتعالى، كما يبدو ابتداء الآية الأولى والثانية وانتهاؤهما بهذين المقطعين، كأنه يمثّل حالة حصر وقصر للأحديَّة والصمدية(1) على ذاته جل جلاله.

وأخيراً نجد في تقديم خبر فعل الكون في الآية الأخيرة، ما قوّى البناء المتين، وأصاب المعنى المراد، وراعى الفواصل البديعة(2)، لتنتهي جميعها بصوت الدال الذي دلَّ دلالة ايجابية بالشدّة والقوة، فهو صوت شديد انفجاري "يمتلك صفات توحي بشدة الجرس وقوته وبالتالي دلالة هذا الجرس على المعنى الذي يؤديه هذا الصوت منفرداً على نطاق اللفظة الواحدة أو مكرراً في سياق العبارة والسورة الكاملة، ولما كانت السورة إثباتاً وتقريراً لعقيدة التوحيد ونفي الشرك عن الذات الإلهية جاءَت بهذا الشكل الصوتي الذي أحدثه صوت الدال ليقرر الحقيقة كاملة، ولينسجم الإيقاع الصوتي في هذه السورة مع الجو العام لمشهد التوحيد و إثباته في النفوس"(3).

A Phonetic Investigation of Al-Ikhlaas Sura:

Lect .Dr. Azza A. Ahmed & Asst. Prof. Dr. Rafi' A. Mallo

Abstract

Investigating Al-Ikhlaas (faithfulness/ sincerity) phonetically has uncovered its underlying theme of

---

(1) سورة الإخلاص دراسة صوتية/82.

(2) تفسير القاسمي/9/509 ومن وحي القرآن/133.

(3) الإيقاع أنماطه ودلالاته/120.

monotheism, which is reflected in the alternate recurrence of the palatalized and velarized forms of the alveolar lateral /1/. The meaning is deduced to be the result of the consistent syntactic structuring, semantic indication, unification of the verse rhymes, and the quality of the long vowels in the sura.

Al-Ikhlass is significant also in that it contains five words, out of its fifteen constituent words, that have not recurred else where in the Qur'an with the same structures and meanings. These words thus constitute 5:15, i.e. one third of the total number of words in the sura. Taking into consideration that Al-Ikhlaas alone is considered to be equivalent to one third of the number becomes of great significance.

The glorious Qur'an constitutes two parts: prediction and composition. Prediction is also seen as two parts, about the creator, and about creation (or the human being). Al-Ikhlaas is solely devoted to prediction about the creator ; it states the truth about Allah. Accordingly, it is considered one third of the Qur'an.